بصائر من الوحي في فقه النفس وتزكيتها

٢- اتباع النبي ﷺ سبيل الهدى في تزكية النفس

✍ حسين عبد الرازق

(٤) موضوع المحاضرة: بصائر من الوحي في تزكية النفس والاستقامة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ﴾.

معنى ((البصائر)) مفردُها بصيرة، يعني: الحجة البينة الظاهرة.

قال الطبري: ((فمن أبصر فلنفسه " يقول: فمن تبين حجج الله وعرَفها وأقرَّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بَغَى الخير، ومن عمي فعليها يقول: ومن لم يستدلّ بها، ولم يصدق بما دلَّته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسَه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها)).

فقه أبواب العبوديةِ وتزكيةِ النفس وطريقِ ولايةِ الله = مبنيٌ على مقدماتٍ تتكاملُ فيهتدِى العبدُ بها في سعيِه وعمله:

- ✓ **أولُها: العلمُ بمحامد الله تعالى وأفعاله وقدرِه**
- ✓ **ثانيا: العلمُ بالوحي في هذا الباب، والاعتصامُ به وجعْلُه الميزانَ والحَكَمَ، والعلمُ بالإيمان وشُعبه، ومراتبِها، والموازنةُ بينها، والحُكمةُ في العمل بها.**
- ✓ **ثالثا: إخلاص العبادة لله**
- ✓ **رابعا: فقهُ النفسِ وخصائصِها**
- ✓ **خامسا: الجمعُ بين الإيمانِ بقدر الله مع العملِ بشرعه.**
- ✓ **سادسا: الإيمانُ باليوم الآخر**
- ✓ **سابعا: سياسة النفس، ومُجاهدتُها للقيام بموجِبات تلك المعارف**

النفس: هي الإنسان كلُه، أو روحه، أو قلبُه، أو هواه.

ولها خصائص: فهي لوّامةٌ في الخير والشر، وأمّارة بالسوء، ومُطمئنة، وتُوسوس لصاحبها وتحب وتكره، وتهوى وتُطوّع الخير والشر لصاحبها وتسوّل له، والنفس مفطورة على معرفة الله، التقلب والتطرف والخروج عن حد الاعتدال، في النفس معرفة الخير والشر، النفس شديدة الحرص على الخير وجزوعة من الضر، العجلة والتسرع، التردد والضعف، التمرد والمكابرة والعناد، الجحود، شدة الحرص، الشهوة والتذوق والاستمتاع، الخوف والرجاء، الشح والبخل.

قال السامري الذي دعا قوم موسى لعبادة العجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ وقال يعقوب عليه السلام لأبنائه ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ يعني: بل زينت لكم أنفسكم أمرًا هممتم به وأردتموه وقال الله عن القاتل من ابني آدم ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فللنفس أهواء وأماني وشهوات وبها شرور كالهوى والشح والحسد والاستكبار كما في الحديث: نعوذ بالله من شرور أنفسنا

وهي مسؤولة القران الكريم يجعلها مسئولة مسئولية مباشرة عن عملها قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾

وقال: ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وذكر الله الإنسان قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب / ٧٢.

وقال سبحانه: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلً﴾، ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً﴾، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

ولن ينجو من ذلك إلا بتزكية نفسه بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

وهذا المعنى بالتحديد هو المراد هنا وهي النفس المرادُ تزكيتها (تطهيرها من شرها ونماؤها بالخير)

الله تعالى خالق النفس وهو أعلم بها وبما تزكو به

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾.

تزكية النفس

معناها: الطهارة والنَّماء والبَركةُ والمَدْح.

وأزكى الشيء أكمله وأحسنه وأطهره وأجمله وأنفعُه ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾، ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

فتزكية النفس في الإسلام شاملة لأمرين:

✓ أ – تطهيرها مما لا يُرضي الله: النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال ما يناقضها كالزرع لا ينمو إلا بإزالة موانع النمو

✓ ب – تنميتها بزيادتها المسارعة في الخيرات والعمل الصالح

ارتبطت التزكية بهذه المعاني في القرآن:

✓ ارتباطها بالنفس الإنسانية.

✓ اعتباره أخص مقاصد البعثة.

✓ ترتب الفلاح عليها في الدنيا والآخرة

بصائر في باب تزكية النفس

التزكية: أضيفت إلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ، وإلى العبد، وإلى الأعمال، وإلى القرآن، ولكل منها دلالته.

والحديث هنا عنها جميعا:

١) تزكية النفوس بالوحي والإيمان أجل مقاصد الإسلام، وهي غايةُ كل عمل صالح، وأعظم ما تزكو به النفوس = كتاب الله:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

ونُسبت إليه التزكية لأنه الداعي إليها بقوله وفعله والمعلم لها، أما بيان أن النبي ﷺ ليس عليه إلا البلاغ والتذكرة فإنه يُذكر في سياقات خاصة، منها تحديد ما كُلِفه، وألا تذهب نفسه حسرات على من كفر، ونهيه عن إكراه أحد أو السيطرة عليه ونحو ذلك : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾, ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾, ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ونحو هذه السياقات.

٢) **وأعظم ما تزكو به النفس إخلاص الدين لله تعالى:**

وهو فاتحة كل خير ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ. وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)) ((فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣) **الإيمان بالقدر والشرع أساسٌ في تزكية النفس (الإيمان بعلم الله وكتابته، وحكمته، ورحمته، ومشيئته، وخلقه)**

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿ إِنَّ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

والعلم بأنّ للعبد استطاعة واختيارا وإرادة وهو مسؤول عن عمله بقدر ذلك:

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟»، قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[الليل: ٥ ـ ٦] الآيَةَ [البخاري (٤٩٤٩) واللفظ له، ومسلم بنحوه (٢٦٤٧)].

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟» قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: «فَفِيمَ الْعَمَلُ؟» قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» [مسلم (٢٦٤٨)].

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟» قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قِيلَ: «فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟»، قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» [مسلم (٢٦٤٩)].

ومن الأمثلة العملية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان)) الجمع بين القدر والشرع.

- فالعبد مسؤول عن تزكية نفسه وفي ذلك فلاحُه، ((**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**))

قد أفلح من زكاها (الضمير يعود على الله أو على العبد). وهو من أشهر أنواع الخلاف في التفسير: على من يعود الضمير

والأقرب: قد أفلح من زكّا نفسه، فهذا هو التفسير المناسب للسياق الذي يُحمّل العبد مسؤولية إصلاح نفسه ففيه أمر ونهي، وليس المراد بيان أن الله هو الذي يزكي فهذا معنى حق لكنه ليس المرادَ هنا، إنما يذكر في سياق آخر في بيان فضل الله ونعمته مثل ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد﴾ ويُذكر ذلك في سياق القدر كقوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾

وقريب من ذلك الخلاف في الضمير قوله: ﴿لكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ فاستبقوا: تكليف، فكون المعنى صحيحا شيء وكونه تفسيرا للآية شيء آخر وجاءت آيات تشهد لها: ﴿قد أفلح من تزكى﴾.

﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[الطلاق: ١].

ويقول سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[التحريم: ٦].

﴿قد أفلح من تزكى﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، معناه: "أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكّيهم الله، أو لِيُزَكُّوا أنفسهم.

زكى نفسه: وأظهرها ونماها

دَسَّاهَا: دس نفسه أي أخفاها ضيقها وضيعها وصغّرها وقللها ودسها بظلمه نفسه، نَقَّصها وأخفاها وأخملها بالفجور والكفر.

والدسّ: إدخال الشيء في الشيء بضربِ من الإكراه، وفي الحديث: «الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس».

٤) **الإيمان باليوم الآخر وتذكّر الموت والانشغال بالإعداد له:**

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ{٤٥} الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

قال النبي ﷺ للسائل: متى الساعة؟: «وماذا أعددتَ لها؟»

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قَالَ: «أَخَذ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَنْكِبِي فقال: كُنْ في الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ. وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي اللَّه عنهما يقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمرَضِكَ، ومِنْ حياتِك لِمَوتِكَ» رواه البخاري.

وعن ابن مسعُودٍ ﷺ قَالَ: «خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا منْهُ، وَخَطَّ خُططًا صِغَارًا إِلى هَذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: هَذَا الإِنسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ —أَوْ: قَد أَحَاطَ بِهِ—وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْراضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا». رواه البخاري.

قصَر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ﴾.

٥) **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿بل الله يزكى من يشاء﴾ ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.**

التزكية:

الهداية والبيان: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

- **التوفيق إلى الإيمان وتزيينه في القلوب** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.
- **والله تعالى يزكي النفوس المؤمنة من الذنوب وسيئاتها في الدنيا بالمغفرة والتوبة والعمل الصالح وفي الآخرة بالمغفرة.**
- **وهو أيضا لا يزكي في الدنيا والآخرة بأسباب من العبد** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقوله ﴿ولا يُزكيهم ﴾، **يعني: ولا يطهرهم من دَنس ذنوبهم وكفرهم،** ﴿أولئك الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم﴾.

وَعنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يوْمَ الْقِيامةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلا ينْظُرُ إلَيْهِمْ، ولهُمْ عذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِل مُسْتَكْبِرٌ». رواهُ مسلم.

- **ويزكّي بمعنى: يشهد بزكاة النفس ولا يظلمها** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
- **الجمع بين قوله تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ و﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

النهي عمن يزكي نفسه بالكذب أو تفاخرا

- **معانٍ عظيمة** من حديث: عن أَبي بكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرسولِ اللَّهِ ﷺ: «علِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِك، وارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم)) متَّفَقٌ عليهِ.

٤- ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربّي﴾

قال ابن القيم رحمه الله: ((النفسُ حجابٌ بين العبد وبين اللهِ لا يصل إلى اللهِ حتى يقطعَ هذا الحجاب، وهي جبل عظيم شاقٌ في طريق السير إلى الله عز وجل، وكلُ سائرٍ لا طريقَ له إلا على ذلك الجبلِ، فلا بد أن ينتهيَ إليه، ولكن منهم من هو شاقٌ عليه، ومنهم من هو سهلٌ عليه–وإنه ليسير على من يسره الله عليه– وفي ذلك الجبل أوديةٌ وشعوبٌ وعقباتٌ ووُهودٌ وشوكٌ وعوسجٌ وعُلّيْقٌ وشِبرقٌ، ولصوصٌ يقطعون الطريق على السائرين ولا سيما أهلَ الليل المدلجين،

فإذا لم يكن معهم عُدَدُ الإيمانِ ومَصابيحِ اليقينِ تَنْقِدُ بزيتِ الإخبات =وإلا تعلقتْ بهم تلك الموانعُ وتشبّثتْ بهم تلك القواطعُ وحالتْ بينهم وبين السير.

فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحامِ عقباته.

والشيطانُ على قُلّةِ ذلك الجبلِ أي أعلاه يُحذّر الناس من صعوده وارتفاعه ويخوفهم منه، فيتّفقُ:

مشقةُ الصعود–وقعود ذلك المخوِّفِ على قُلَّته –وضعفُ عزيمةِ السائر ونيتِه، فيتولّد من ذلك: الانقطاعُ والرجوعُ، والمعصومُ من عصمه الله.

وكلما رَقى السائرُ في ذلك الجبل اشتدّ به صياحُ القاطعِ وتحذيرُه وتخويفُه.

فإذا قطعه وبلغ قُلّته=انقلبتْ تلك المخاوفُ كلُهنّ أماناً، وحينئذ يسهُل السيرُ، وتزولُ عنه عوارضُ الطريقِ ومشقةُ عقباتِها ويرى طريقاً واسعاً آمناً يُفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلامُ، وفيه الإقامات قد أُعدّت لركب الرحمن.

فبين العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)).

من صور هوى النفس وأمرها بالسوء:

- **الانشغال بصورتك عند الناس:** ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾، في الحديث: «احرصْ على ما ينفعُك»، وقال الشافعي: ((اعلمْ أنّه ليس إلى السلامة من الناس سبيلٌ فانظرْ ما فيه مصلحتُك فالزمْه)) وقال الإمام أحمد بن حنبل: ((إذا عرَف الرجلُ نفسَه فما ينفعُه كلامُ الناس)).
- **نفسُك (تشغلك بالكلام والوهم أكثر من العمل نفسه).**
- **وإذا أنجزتَ عملا فعليا فقد تضرك بما يفسد عملك أو يحبطه والمنّ والأذى، نسيان فضل الله** ﴿إنما أوتيته على علم﴾ ﴿إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾

الأسباب (التخطيط، والاجتهاد، السعي، والتعب، والتفكير، والصبر) كل هذا من أعظم ما تُكرمُ به وتُعان، ولا يُنكرُ أثرها إلا جاهلٌ بالشرع والعقل والفطرة والواقع.

لكن هذه الأشياء إنّما تضعها أمام عينَيك قبل الشروع في العمل، وأثناءه وتُجاهد نفسك للأخذ بها.

أمّا بعد حصول الخير لك وتحقيق الهدف =فانساها تماما تماما.

ولا تُفكّر فيها إلا بقدر ما تتخذُها في عملٍ جديد وهدف جديد، ولا تفكّر فيها بمعنى أنك نجحت بها، ولولاها ما نجحت.

الجمع بين ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، **وقول النبي ﷺ**: «سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدخِل أحدَكم عملُه الجنةَ، وأنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ».

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

وعكسُ ذلك تماما: ما يُصيبُك من مصائب، فهي من نفسِك...

وفي الحديث: «فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه».

- **ومن أوجه ضرر النفس**: إنكار فضل من أعانك أو نصحك: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾.
- **ومن صور ضرر النفس**: أن تصور لك أنك وحدك تستطيع إنجاز كل تفاصيل مشروعك فتُحمّل نفسك أكثر مما تطيق وتضع نفسك تحت ضغط فتنقطع وتمل.
- **ومن ضررها**: تخويفك من العمل خشية الخطأ أو خشية النقد، أو طلب الكمال واشتراط شروط غير متاحة للبداية في العمل.
- **ومن ضرر النفس**: الاستنكاف عن نصح إخوانك لك أو توجيههم أو تعليمهم والانتفاع منهم، وكثير من الناس لا يحبون مخالطة الناجحين في العبادة أو الخُلق أو العمل لأنهم يكشفون ضعفهم أمام أنفسهم وأمام الناس. وهذا ضرر **أولا**: يفوت عليك سبيلا لاكتشاف نقصك **وثانيا**: يُعيشك في وهْم أنك كامل، **ثالثا**: ويفوت عليك تطوير نفسك، ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾، قال عبدُ الرحمن ابن أبي ليلى: (أدركتُ عشرين ومائة، من أصحاب رسول الله ﷺ، ما منهم مُحدِثٌ، إلا وَدَّ أخاه، كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا وَدَّ أنَّ أخاه كَفاهُ الْفُتْيَا).
- **ومن ضرر نفسك عليك عند الإخفاق**: أن تجعلك لا تتحمل المسؤولية: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
- **ومن أعظم أمرها لك بالسوء**: إرادة أن تكون أنت الأول والأعلى والأسبق والرأس وصاحب الفكرة المؤسس الكبير والمتبوع، والناسُ دونك، تحتك، بعدك، تابعون لك.

نقدٌ للجملةِ المشهورة على ألسنة كثير من الوُعّاظ والناس

(إذا استطعتَ ألا يسبقك إلى اللهِ أحدٌ فافعلْ)

الصورة الكاملة التي ينبغي أن يطلبها العبدُ:

أن تطلب الهدى وتجتهد في العمل الصالح وتفرحُ بما تنالُ من خير، وأن تُحب الخيرَ لإخوانك كما تحبه لنفسك، وأن ترجو لهم الخير، وتفرحَ بما يُصيبهم من خير، وتحزنُ لما يصيبهم من شر، ولا تراقبهم ولا تتربصُ بهم ولا تقصد بعملك أن تكون الأعلى، ولا تتعمّد أن تكون الرأسَ والمتبوعَ وهم تحتك ودُونَك وتابِعين لك، بل تتقي الله بما تستطيع دون ملاحظة غيرِك، فهذا هو القلب المجاهد السليم الذي وُقِي الشُّحَ.

فالإنسان يطلب الخير ويطلب معالي الأمور وأعلى الدرجات دون ملاحظة غيره أو إرادة أن يكونوا تحته ودونه، وما منا أحد إلا ويقع منه ذلك فينظر ويُقارن.

لكن فرق بين:

- ✓ –أن تعرف أنه نقصٌ وتسعى لدفعه ولا تعملُ بموجَبه.
- ✓ –وبين أن تقبله من نفسك وتسترسل معه وتعمل بمقتضاه.

((ألّا يسبِقَك أحدٌ!))

لاحظْ أن التركيز هنا ليس على طلبِ أعلى ما يُمكن لك من الخير، بل على مجرد ألا تُسبقَ!

فهي عبارة خطأ، والمعنى خطأ كذلك = التركيز فيها ليس على نفسِك، بل على غيرك

ومبناها على: النظر إلى الغير والمقارنة، والرضا عن النفس بقدر كونها الأعلى وغيرها دونها وتحتها.

والعبدُ ليس مأمورا بالسبق، بل ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ و﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ونحو ذلك وهو معنى ﴿سارعوا﴾ ﴿سابقوا﴾ ﴿استبقوا﴾ ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ **دون النظر إلى غيرك** إلا على سبيل الانتفاع والتشجيع والتقوّي والتعاون والتحفيز، ورفع الهمة والفرح بتفوق أخيك المسلم). ونحو ذلك.

وإذا فاتَك شيء من الخير تحزن على فواته، لا تحزن لكون فلان يفعله أو حصّله؛ كما في حديث ابْنُ عُمَرَ حيث قَالَ: «لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ»، فهنا حزن ابنُ عمر على ما فاته من قراريط الثواب، فهو لم يحزن لكون الصحابةِ العالِمين بذلك حصّلوا ثوابا لم يُحصله، بل لفوات ذلك فحسب، ولو كان الذي أحْزَنَه هو سبقُ إخوانه له، وفعلُهم ما لم يفعل، وتحصيلُهم للأجر=فهذا من الحسد وشُح النفس.

فالله لم يكلّفنا أن نسبق الناسَ، بل أن نجتهد في فعل الخير ونطلبه.

***أما التنافُسُ والتسابقُ المبنيانِ على قصد:**

أن تكون أعلى من فلانٍ وهو تحتك ودُونك، أو تسبق فلانا أو فلانا من الناس، أو تكون الرأسَ المتبوع وهم تحتك ودُونك وأقلُّ منك.... وتنشغل بذلك، وتترقب، وتنتظرُ، وتُقارِن.

هذا النوع من التنافس هو نوعٌ من الحسد وشُحِّ النفس، وله سلبياتٌ كبيرة، من أهمها:

أولا: **هو نوعٌ من طلب العلو وإرادة أن يكون الناس تحتك ودونك**، وحتى لو كان ذلك في أبواب الدين والعبادة =فهو نقصٌ ومن شُح النفس.

وفرقٌ بين:

- ✓ المسارعة في الخيرات والاجتهاد في فعل البِر بما أستطيعُ بِغضِّ النظر عن كَوني الأعلى والأسبق والأفضل والرأس= فهذا هو الكمالُ.
- ✓ –وبين إرادة العلو والرفعة على الناس وأن يكونوا أقل مني وتحتي ودوني وتابعين لي = فهذه إرادةٌ مذمومة.

***أنه من شأنه أن يجعلك تجاه من تنافسه:** تُلاحظه وتركّز معه، بل أحيانا تتربّص به، بل يجعلك تحزن بما يُحرزه من تفوّق، وتفرح إذا أخفق، ويُسعدك ما عنده من نقص، وأن يكون في صدرك حاجةٌ مما أُوتي من الخير أو حصّل من الفضل.

–إذا تفوق أحدٌ عليك أو سبقك فهل هذا خيرٌ له أو شر؟

هو خير أصابَه بلا شك

فأنت كرهتَ سبْقَه لك وتميزَه عليك، وأحْزنَك ذلك

وهذا عينُ شحِّ النفس والحسدِ

ثم إنك لم تكن لتشعر بنقصك إلا عند المقارنة، لم تكن لتتألم لو لم تُلاحظْه

فصِرت ترتاحُ وتسعد لكونه أخفق، وتحزنُ لكونه تفوق. هذه ليست منافسة بل هي عينُ الحسد وشُح النفس.

* **أن نفسَ مَن تريد سبْقهم ومنافستهم قد يكونون ضعفاء،** فليس سبقُهم بالذي يُفرح به أصلا أو تُقاسُ به!

***–الناس يختلفون اختلافات كثيرة من جهات مختلفة:**

من حيث القدرات والمواهب والواقع والطموح:

﴿والذين تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا* وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

***إذا فقِهتَ ذلك المعنى الدقيق وجاهدتَ نفسك عليه:**

- ✓ حينها إن شاء الله سيكون ذلك نموذجا تطبيقيا لهذا المعنى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾ ﴿وسارِعوا﴾.
- ✓ حينها ستسعدُ جدا بتفوّق إخوانك.
- ✓ حينها لن تستنكف من الانتفاع منهم ولا من سؤالهم، وتعترف بفضلهم، وتفرح بما يصيبهم من خير، وتفرح بما يُمدحون به مما يستحقون.
- ✓ ولن تأنف من أن تكون تابعا لغيرك في الخير والحق، كما هو حالُ ذلك العبد «طُوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله أشعثٍ رأسُه مغبرّة قدماه، إن كان في الحراسة= كان في الحراسة، وإن كان في الساقة= كان في الساقة»؛ هو في خير دائما، ليس مُنشغلا إلا بذلك لا يهمه أن يكون رأسا أو تابعا.
- ✓ –حينها لن يبقى للشيطان عليك سلطاناً تجاه أخيك.
- ✓ –حينها ((فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يُلقّاها إلا الذين صبروا.))
- ✓ –حينها لن تبالي إذا ظهر الحق بك أو بغيرك؛ المهم أنه ظهر.
- ✓ بل حينها بالتحديد –واللهِ– ستشعرُ أن تفوقَه= تفوقُك، وإخفاقَه= إخفاقُك
- ✓ –حينها ستُمارسُ: «أن تحبّ لأخيك ما تحب لنفسك»

أما أن تريد أن يكون لك مثلُ ما لفلان من الخير دون أن يزول ذلك عنه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النَّبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها»= **فهذا جائزٌ مباحٌ لكنه ليس الأكمل.**

بل الأكملُ أن تطلب الخير وتجتهد في طلبه وتريدُ إنعام الله عليك دون التفاتٍ إلى غيرك، ودون مقارنة وإرادةِ سبْقٍ أو طلب عُلُو.

واكملُ منه أن تحب لهم ما تُحب لنفسك من الخير.

*فالإنسانُ زكيُّ النفس إذا وُفّق أو هُدي إلى أي خيرٍ فإنّه يودُّ لو هُدِي إليه كلُّ إخوانه، بل يسعى لذلك، ويفرح به.

*أمّا شحيحُ النفس فإنه حريص على كتم مثل ذلك. بخيلٌ به. يُحزنُه أن يُشاركه أحدٌ في مثل ذلك. ويضيق صدره بما يصيب إخوانه من الخير ويُوفَّقون إليه، هؤلاء لا يفلحون.

#أمّا مريض النفس شحيحُها، مُريد العُلو، الذي لا يحركه هدفٌ شريف، ويتعامل بمنطق التاجر الذي يخشى أن يأخذ منافسُه نصيبَه =ينظر إلى ذلك المتميّز على أنه: عدو له، مُنافس، فينتقصه، ويحاول أن يُبعده بما استطاع، ويتربّص به!

خلاصة:

تخيل أنك في سباق ١٠٠ متر، فالمطلوب منك أن تبلغ المسافةَ في أقل وقت ممكن لك بغضّ النظر: هل معك أحدٌ في السباق أم وحدك؟ ، هل هم تحتك؟ ، هل هم فوقك؟ ، هل هم في مستواك؟

أنت فقط في الحارة المخصصة لك تبذل ما تستطيع دون أن تلتفت إلى غيرك وتلاحظه وتراقب وتسعد لكونه تحتك وأنت فوقه، وتحزن لكونه فوقك وأنت تحته

#فالأقرانُ المتميزون من حولك ليس لتحسدهم أو لتكون نسخةً منهم –فالناس مواهب وقدرات–فقط هم وقودٌ لك وعَون.

ولهذا فإن من نعيم أهل الجنة ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾.

ومن دعاء المؤمنين التابعين ﴿اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين أمنوا﴾.

الخلاصةُ فكرتانِ:

- ✓ ١–أن تتقي الله بما تستطيع دون ملاحظة غيرك دون أن تتعمد أو تقصد أن تكون الأعلى وغيرُك يكون تحتك ودونك، بل تفرح به وتحب له ما تحب لنفسك من الخير
- ✓ ٢–وألا يمنعك كونُك لست رأسا في أمرٍ من أمور الخير أن تكون تابعا لغيرك فيه

وقال رسول الله ﷺ: «مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»

وهذا فصل طويل لابن تيمية رحمه الله عن الحسد في رسالته ((أمراض القلوب وشفاؤها)) وهي من أنفس ما كتب في بابه على صغرها قال: [((فصل من أمراض القلوب الحسد))

ومن أمراض القلوب الحسد كما قال بعضهم في حده إنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء فلا يجوز أن يكون الفاضل حسودا لأن الفاضل يجرى على ما هو الجميل وقد قال طائفة من الناس إنه تمنى زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها بخلاف الغبطة فإنه تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان أحدهما كراهة للنعمة عليه مطلقا فهذا هو الحسد المذموم وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذلك مرضا في قلبه ويلتذ بزوال النعمة عنه وإن لم يحصل

له نفع بزوالها لكن نفعه بزوال الألم الذي كان في نفسه ولكن ذلك الألم لم يزل إلا بمباشرة منه وهو راحة وأشده كالمريض فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها وقد يحصل نظير تلك النعمة ما أنعم به على النوع ولهذا قال من قال إنه تمنى زوال النعمة فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها و النوع الثاني أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيجب أن يكون مثله أو أفضل منه فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة وقد سماه النبي ﷺ حسدا في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق» هذا لفظ ابن مسعود ولفظ ابن عمر: «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه في الحق آناء الليل والنهار»

ورواه البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه الليل والنهار فسمعه رجل فقال يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا».

فهذا الحسد الذي نهى عنه النبي ﷺ إلا في موضعين، وهو الذي سماه أولئك الغبطة، وهو أن يحب مثل حال الغير ويكره أن يفضل عليه، فإن قيل إذا لم سمي حسدا وإنما أحب أن ينعم الله عليه قيل مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يفضل عليه ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يفضل عليه الغير كان حسدا لأنه كراهة تتبعها محبة وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثاني وقد يسمى المنافسة فيتنافس الاثنان في الأمر المحبوب المطلوب كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر، والتنافس ليس مذموما مطلقا بل هو محمود في الخير قال تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف فى وجوهم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ المطففين، فأمر المنافس أن ينافس في هذا النعيم لا ينافس في نعيم الدنيا الزائل وهذا موافق لحديث النبي ﷺ فإنه نهى عن الحسد إلا فيمن أوتي العلم فهو يعمل به ويعلمه ومن أوتى المال فهو ينفقه، فأما من أوتي علما ولم يعمل به ولم يعلمه أو أوتي مالا ولم ينفقه في طاعة الله فهذا لا يحسد ولا يتمنى مثل حاله فإنه ليس في خير يرغب فيه بل هو معرض للعذاب،

ومن ولي ولاية فيأتيها بعلم وعدل وأدى الأمانات إلى أهلها وحكم بين الناس بالكتاب والسنة فهذا درجته عظيمة، كذلك المجاهد في سبيل الله والنفوس لا تحسد من هو في تعب عظيم فلهذا لم يذكره وإن كان المجاهد في سبيل الله أفضل من الذي ينفق المال بخلاف المنفق والمعلم فإن هذين ليس لهما في العادة عدو من خارج فإن قدر أنهما لهما عدو يجاهدانه فذلك أفضل لدرجتهما وكذلك لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم المصلى والصائم والحاج لأن هذه الأعمال لا يحصل منها في العادة من نفع الناس الذي يعظمون به الشخص ويسودونه ما يحصل بالتعليم والإنفاق،

والحسد في الأصل إنما يقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة وإلا فالعامل لا يحسد في العادة ولو كان تنعمه بالأكل والشرب والنكاح أكثر من غيره بخلاف هذين النوعين فإنهما يحسدان كثيرا ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم اتباع من الحسد مالا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فيمن له أتباع بسبب إنفاق ماله فهذا ينفع الناس بقوت القلوب وهذا ينفعهم بقوت الأبدان والناس كلهم محتاجون إلى ما يصلحهم من هذا وهذا، ولهذا ضرب الله سبحانه مثلين مثلا بهذا فقال ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ النحل.

والمثلان ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه فإن الأوثان لا تقدر لا على عمل ينفع ولا على كلام ينفع فإذا قدر عبد مملوك لا يقدر على شيء وآخر قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوي هذا المملوك العاجز عن الإحسان وهذا القادر على الإحسان المحسن إلى الناس سرا وجهرا وهو سبحانه قادر على الإحسان إلى عباده وهو محسن إليهم دائما فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه وهذا مثل الذي أعطاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل والنهار والمثل الثاني إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء وهو مع هذا كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير فليس فيه من نفع قط بل هو كل على من يتولى أمره وآخر عالم عادل يأمر بالعدل ويعمل بالعدل فهو على صراط مستقيم وهذا نظير الذي أعطاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها للناس وقد ضرب ذلك مثلا لنفسه فإنه سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم كما قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران.

ولهذا كان الناس يعظمون دار العباس فقد كان عبد الله يعلم الناس وأخوه يطعم الناس فكانوا يعظمون على ذلك، ورأى معاوية الناس يسألون ابن عمر عن المناسك وهو يفتيهم فقال: هذا والله الشرف، أو نحو ذلك،

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نافس أبا بكر رضي الله عنه الإنفاق كما ثبت في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما قال فجئت بنصف مالي قال فقال لي رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك إلى شيء أبدا» فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة لكن حال الصديق رضي الله عنه أفضل منه وهو خال من المنافسة مطلقا لا ينظر إلى حال غيره وكذلك موسى صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له ما يبكيك فقال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي أخرجاه في الصحيحين وروى في بعض الألفاظ المروية غير الصحيح مررنا على رجل وهو يقول ويرفع صوته أكرمته وفضلته، قال فرفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل قال هذا أحمد قال مرحبا بالنبي الأمي

الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله عز وجل قد عرف صدقه، وعمر رضي الله عنه كان مشبها بموسى ونبينا حاله أفضل من حال موسى فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه كانوا سالمين من جميع هذه الأمور فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة وإن كان ذلك مباحا ولهذا استحق أبو عبيدة رضي الله عنه أن يكون أمين هذه الأمة فإن المؤتمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما ائتمن عليه كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصيان ويؤتمن على الولاية الصغرى من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى ويؤتمن على المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه وإذا ائتمن من في نفسه خيانة شبه بالذئب المؤتمن على الغنم فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما ائتمن عليه، **وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال:** «كنا يوما جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوء قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل على مثل حاله فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه و مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل حاله فلما قام النبي ﷺ اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال إني لاحيتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت قال نعم قال أنس رضي الله عنه فكان عبد الله يحدث أنه بات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه إذا تعار وانقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم إلى صلاة الفجر فقال عبد الله غير أني لم اسمعه يقول إلا خيرا فلما فرغنا من الثلاث وكدت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدي بذلك فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق».

فقول عبد الله بن عمرو له هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق، يشير إلى خلوه وسلامته من جميع أنواع الحسد وبهذا أثنى الله تعالى على الأنصار فقال تعالى: ﴿ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الحشر، أي مما أوتي إخوانهم المهاجرون، قال المفسرون لا يجدون في صدروهم حاجة أي حسدا وغيظا مما أوتي المهاجرون ثم قال بعضهم من مال الفيء وقيل من الفضل والتقدم فهم لا يجدون حاجة مما أوتوا من المال ولا من الجاه والحسد يقع على هذا وكان بين الأوس والخزرج منافسة على الدين فكان هؤلاء إذا فعلوا ما يفضلون به عند الله ورسوله أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله كما قال تعالى: ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ المطففين.

وأما الحسد المذموم كله فقد قال تعالى في حق اليهود: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ البقرة، يودون أي يتمنون ارتدادكم حسدا فجعل الحسد هو الموجب لذلك الود من بعد ما تبين لهم الحق لأنهم لما رأوا أنكم قد حصل لكم من النعمة ما حصل بل ما لم يحصل لهم مثله حسدوكم وكذلك في الآية الأخرى ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾ النساء...] إلى آخر كلام ابن تيمية رحمه الله.

مع التنبيه على ضعف حديث: ((يطلع عليكم رجل من أهل الجنة))

كلمةٌ لطالب العلم من واقع التجربة:

على مدى ١٨ عاما في التماس العلم (تعلُّمًا وتعليما)

رأيتُ بعضَ الطلبةِ يتعامُل: بوضوحٍ وصراحة ويحرصون على نفع إخوانهم، ولا يستنكفون أن يأخذوا عن أقرانهم أو من أصغر منهم، ويشهدون لهم بما فيهم من خيرٍ وتميُّز، ويفرحون بمن ينضم إليهم ويرونَه سندًا لهم، ويُسعدهم ما يُصيبُ زُملاءَهم من خير، ويتعاملون بوضوح وصراحة وسهولة وتلقائية دون تكلُّف أو تصنُّع.

رأيتُ هؤلاء وكيف كان يُيَسَرُ لهم سُبلُ العلم، وسُبل المال، والبركة فيه، ويُعانون عليه، ويُرزَقون الفهم، وينشرح لهم صدورُ المشايخ ويخصونهم بالفوائد، ويُفتَحُ لهم فيُنتفَعُ بدعوتهم ودروسهم...وكيف يُحسنون استثمار كلَ معلومةٍ

وفي المقابل: ورأيتُ خُبثاءَ ماكرين أنانيين شحيحي النفس يلفون ويدورون ويُخططون للاستئثار بالخير لأنفسهم، ومَنْعِ زملائه، وتشويه صورتهم وانتقاصهم، والاستحواذ على المشايخ، وبلوغ المنزلة في قلوبهم، أو للحصول على كفالة، أو مصلحةٍ شخصية أو تحصيلِ شهرة

فواللهِ لا أعلمَ أحدًا منهم إلا حَصَل له نقيضُ ما خطّط له. مهما كان يأخذ بأسبابها؛ بل يزداد عنها بُعدًا ثم هو يتعجّب: ليه بس يا رب كدا!

***باختصار**: طريق طلب العلم =عبادة؛ لا يُفلح فيه سوى: الصدق، واستحضار معاني العبودية فيه، وحُب الخير للمسلمين، ونحو ذلك من معانٍ.

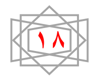
فمن كان كذلك: انتفع بقليل المعرفة، وكان بركةً على من يُخالطونه.

ومَن دخل فيه بغير ذلك أو غفلَ عنه = فلا تزيدُه الأسبابُ والمجاهدة إلا عجزا!

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

الخلاصة في التعامل مع النفس:

- **أولا**: العلم بنفسك وبأهوائها وعداوتها وهذا يذكرك الله به كثيرا في الوحي ويبين لك آثاره
- **ثانيا** التنبُّه لذلك في أفعالك وحاسبة نفسك بما لا يصل للوسوسة
- **ثالثا** تزكيتُها وتطهيرها من أهوائها ولا يكون ذلك إلا بالوحي من ربك العالم بك وبنفسك وبشرها وبما يصلحها...
- **رابعا** انشغل فقط بصورتك عند الله لا عند غيره فحينها ستكون سلما له.
- **خامسا**: أطلب الخير لنفسك من كل طريق متاح لا تستنكف
- **سادسا**: اجعل عملك لله
- **أخيرا**: أحب لإخوانك ما تحب لنفسك من الخير.



٥- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ التزكية بالوحي وبهدي النبيﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي، يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم قالوها وقالوا: أين نحن من النبي قد غفر له تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! قال أحدهم: أما أنا فاصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

عن ابن عباس –رضي الله عنهما–قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل – هذه كنيته واسمه يُسيْر وهو رجل من الأنصار، نذر أن يقوم في الشمس، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه، رواه البخاري.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

قال ابنُ القيمّ: (وتزكيةُ النفوس أصعبُ من علاج الأبدان وأشدَّ، فمن زكَّى نفسه بالرياضةِ والمجاهدة والخلوةِ التي لم يجيءَ بها الرسل، فهو كالمريضِ الذي يعالجُ نفسَه برأيِه، فالرسلُ أطباءُ القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم والتسليم لهم) (مدارج السالكين) (٢/٣١٥).

جمع معاني الإيمان والتقوى وولاية الله من القرآن وحديث رسول الله ﷺ وفقهه ومجاهدة النفس عليه وتقييم النفس به، من مثل قوله:

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ..﴾ إلى قوله: ﴿..الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا. إلى آخر السورة﴾

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ..﴾ إلى قوله: ﴿..وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

وقوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ..﴾ إلى: ﴿...وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ إلى ﴿...وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ونحوها وسورة النور وسورة الحجرات كاملتين.

من الأحاديث:

حديث جبريل، وحديث (بُنِي الإسلامُ عبى خمس)

وحديث أبي ذر رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: ((أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن لكم بكل تسبيحةٍ صدقةً، وكلِ تكبيرةٍ صدقةً، وكلِ تحميدةٍ صدقةً، وكلِ تهليلةٍ صدقةً، وأمرٍ بالمعروف صدقةً، ونهيٍ عن منكرٍ صدقةً، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةً))، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: ((أرأيتم لو وضعها في حرامٍ، أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ))؛ رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ».

٦- ((أعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه))

عن أبي جُحيفة: آخَى النبيُّ ﷺ بيْنَ سَلْمَانَ، وأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليسَ له حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فإنِّي صَائِمٌ، قَالَ: ما أنَا بآكِلٍ حتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فأكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كانَ مِن آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ له سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَذَكَرَ ذلكَ له، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ.

٧- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسامِكُم، وَلا إلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعمالكم))

«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

((وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ))

٨- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم فتخبت وإن الله لهاد﴾

ارتباط التزكية بالعلم والإرادة والعزم

فمبدؤها العلم وباعثُها الإرادة ووقودُها العزم

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾

وإنَّ عزيمةً تتعثرُ في طريق الخير خيرٌ من عزيمة استحكمت على تركه والرجوع عنه

قال ابن الجوزي: (ومن تفكّر في المرتفعين الهِممَ علِمَ أنهم كَهُو [يعني: مثله] من حيث الأهليّة، والآدميّة؛ غير أنّ حُب البَطالةِ، والراحة جَنَيا عليه فأوثقاه، فساروا وهو قاعدٌ، ولو حرّك قَدَم العزم لوصل! ''

٩- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

غلط من يُصورون العبادة على أنها تكليف ومشقة وبما تكرهه النفوس أو أنها مجرد امتحان وابتلاء!

نعم قد يكون فيها شيء من ذلك، ولم يجئ لفظ التكليف إلا في موضع النفي في مثل قوله ﴿لا يُكلِّف الله نفسًا إلا وسعها﴾.

أي: وإن وقع تكليفٌ فلا يُكلِفُ إلا على قدر الوسع. لا أن تُسمَّى كلُ الشريعة تكليفا

وما فيها من ذلك فهو لمصلحتها وتهذيبها فالله أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير

لكن الأصل فيها أنها لصلاح العباد وهدايتهم وتزكيتهم

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ﴾

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

أول ما بدأت أحافظ على الصلاة وأحاول أقرب من ربنا، كان فيه حجات كتير بعملها حرام، وكان في واجبات مفرط فيها، صحابي وجيراني،

يُريدُ اللهُ بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر ...

أحدُ أهم ما تتغيرُ به نظرتُك للعبادات، ويؤثر على أدائك لها:

أن تنظر إليها على أنها:

لمصلحتك ونفعِك وخيرِك

وأنها حياةُ القلوب، وقُرةُ عينٍ، وراحة، وسكن، وفرح، وطمأنينة وسعادة ولذة وحلاوة

ولا تنظر إليها من جهة أنها مُجرد تكليف. عِبء، أو على أنها مشقة، واختبار، وأن الغرض منه مُخالَفةُ أهواء النفوس للابتلاء وتحصيل الثواب. إلخ - {وهذا هو الأصل الذي بنى عليه الصوفيةُ والمعتزلةُ قاعدةَ: الأجر على قدر المشقةِ ومُخالفةِ هوى النفس، وأنّ الشرعَ تكليفٌ، ومشقةٌ ومجردُ ابتلاء واختبار} ...

نقدُ الإمام ابن تيمية رحمه الله للقاعدة المشهورة على ألسنة كثير من العُبّاد والوُعّاظ، والفقهاء، والمُتكلمين:

((الأجرُ على قَدْر المَشقّةِ))

وزنُ القاعدة بالوحي، وبيانُ البديل الصحيح بذكر الاعتبارات التي تتفاضل بها الأعمالُ التي دلَّ عليها الشرع:

[فَصْل قولُ بعضِ الناس: ((الثوابُ على قدر المشقةِ)) = ليس بمستقيم على الإطلاق،كما قد يَستدلُ به طوائفُ على أنواعٍ من الرهبانيات، والعبادات المبتدَعة، التي لم يشرعْها اللّهُ ورسولُه من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل اللّهُ من الطيبات، ومثل التعمُّق والتنطُّع الذي ذمه النبي ﷺ، حيث قال "هلك المتنطعون"، وقال "لو مُد لي الشهرُ لواصلتُ وصالًا يدعُ المتعمقون تعمقهم"

مثلَ الجوعِ أو العطش المفرط، الذي يضرُ العقلَ والجسمَ، ويمنعُ أداءَ واجباتٍ أو مستحباتٍ أنفعَ منه، وكذلك: الاحتفاء {يعني: المشي حافيا} والتعري، والمشي الذي يضر الإنسان بلا فائدة، مثل حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم، وأن يقوم قائما ولا يجلس ولا يستظلُ ولا يتكلمُ فقال النبي ﷺ: «مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه» رواه البخاري.

وهذا باب واسع، وأما الأجر على قدر الطاعة فقد تكون الطاعة للّه ورسوله في عمل ميسر، كما يسَّر اللّه على أهل الإسلام: الكلمتين، وهما أفضل الأعمال؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم» أخرجاه في الصحيحين.

ولو قيل: الأجر على قدر منفعة العمل، وفائدته؛ لكان صحيحًا اتصاف الأول باعتبار تعلقه بالأمر والثاني باعتبار صفته في نفسه.

والعملُ تكون منفعتُه وفائدتُه:

- ✓ تارة من جهة الأمر فقط.
- ✓ وتارة من جهةِ صفته في نفسه.
- ✓ وتارة من كلا الأمرين.

فبالاعتبارِ الأول ينقسم إلى طاعة ومعصية، وبالثاني ينقسم إلى حسنةٍ وسيئة.

والطاعةُ والمعصيةُ اسمٌ له من جهة الأمر، والحسنةُ والسيئةُ اسم له من جهة نفسه.

وإن كان كثيرٌ من الناس لا يُثبتُ إلا الأولَ، كما تقوله الأشعرية وطائفة من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم.

ومن الناس من لا يثبتُ إلا الثاني، كما تقوله المعتزلة وطائفة من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم.

* **والصواب إثبات الاعتبارين**، كما تدل عليه نصوصُ الأئمة وكلامُ السلف وجمهورِ العلماء من أصحابنا وغيرهم.

* **فأما كونه مُشِقًا**، فليس هو سببًا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مُشقًا، ففضله لمعنى غير مشقته، والصبرُ عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة، كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرة أكثر، يكون أجره أعظم من القريب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في العمرة: «**أجرُك على قدر نصبك**» لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة، وبالبعد يَكثرُ النصبُ= فيكثر الأجر، وكذلك الجهاد، وقوله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه ويتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران**».

* **فكثيرًا ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب**، لا لأن التعب والمشقة مقصود من العمل، لكن؛ لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال، ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أُريد بنا فيه العسرُ.

وأما في شرع من قبلنا، فقد تكون المشقة مطلوبة منهم. وكثير من العباد يرى جنس المشقة والألم والتعب مطلوبًا مقربًا إلى اللّه؛ لما فيه من نُفرة النفس عن اللذات والركون إلى الدنيا وانقطاع القلب عن علاقة الجسد، وهذا من جنس زهد الصابئة والهند وغيرهم.

ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من أنواع العبادات والزهادات، مع أنه لا فائدة فيها ولا ثمرة لها، ولا منفعة إلا أن يكون شيئًا يسيرًا لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه.

ونظير هذا الأصلِ الفاسدِ، مدحُ بعضِ الجهال بأن يقول: (فلانٌ ما نَكحَ ولا ذبحَ). وهذا مدحُ الرهبان الذين لا ينكحون ولا يذبحون، وأما الحنفاءُ فقد قال النبي ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر وأتزوج النساء، وآكلُ اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وهذه الأشياء هي من الدين الفاسد، وهو مذموم، كما أن الطمأنينة إلى الحياة الدنيا مذموم.

***والناسُ أقسام:**

- ✓ أصحاب دنيا محضة: وهم المعرضون عن الآخرة.
- ✓ وأصحاب دين فاسد: وهم الكفار، والمبتدعة الذين يتدينون بما لم يشرعه اللّه من أنواع العبادات، والزهادات.
- ✓ والقسم الثالث وهم: أهل الدين الصحيح، أهل الإسلام المستمسكون بالكتاب، والسنة والجماعة، والحمد للّه الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه لقد جاءت رسل ربنا بالحق.))

أما ما دل عليه الوحي وهدي النبي ﷺ وصحابته فهو في بيان أثار العبادة وثمراتها وفرح النفوس بها ونحو ذلك.

وهذا معنى قول بعضهم: إنّ في الدّنيا جنةً من لم يدخلْها فهو محروم. هي جنةُ الطاعة لله؛ أو بشكل عام (حُبُّ ما تعمل)

هذه النقطة جوهرية في كل عمل شريف تقوم به، هذا هو الذي يتحول به العمل من مُستراحٍ منه إلى مُستراحٍ به فالناس فيما يقومون به من أعمال (أي عمل سواء كان عبادة أو غيرها من أمور الحياة {رَبَّة منزل، نجّار، نقّاش، طبيب، مهندس، حِرفي، ميكانيكي...}

فالناس في أعمالهم صِنفان:

- ✓ مُحِبٌ لعمله مُستمتعٌ فرِحٌ مسرور مُبتهِج به سعيدٌ يفعله بحُب.
- ✓ أو مُجرد مُوظَّف مُؤدِّي، مُكرَه، مُجْبَر، مخنوق، مُتكلِّف.

والعلم بالشريعة يتطلب معرفة حِكم التشريع العامة والخاصة والأخذ بسنة النبي ﷺ ومعرفة فقه الرخصة والعزيمة.

١٠- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿لتجزى كل نفس بما كسبت﴾ ﴿جزاء من تزكّى﴾ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ المأوى﴾ **جنة** في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة.

أثر الإيمان باليوم الآخر على تزكية النفس

عبادة الله ومحبته ورجاءه وتعظيمه هي قُرةُ العيون وسرور القلوب غذاءُ الأرواح، وقُوتُ الأبدان وإنما يقوى العبد ويرشد ويفرح ويطمئن ويسعد بقدر إخلاصه في عبادة الله.

حلاوة الإيمان:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)) رواه البخاري ومسلم.

طعم الإيمان:

قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رَسُولاً» رواه مسلم.

الفرح:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

الطمأنينة:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

الأمن والاهتداء:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

الحياة الطيبة:

قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

أعظم تشريف للإنسان وصفه بالعبودية:

وصف الله –سبحانه –نبيه ﷺ به في:

- **أشرف مقاماته كمقام التنزيل في قوله:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١].
- **ومقام الدعوة في قوله:** ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩].
- **وفي مقام التحدي في قوله:** ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].
- **وفي مقام الإنذار:** ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].
- **وفي مقام الإسراء في قوله:** ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].
- **وفي مقام الهداية من الظلمات إلى النور:** ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩]، وقال: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» البخاري (٣٠٧٢)، مسلم (٢٨٢٤).

وأعظم ما يرجوه العبدُ ((رضوان الله ورؤية وجه الله تعالى)) فذلك أعظم النعيم:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يقول لأهلِ الجنة: يا أهلَ الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخيرُ كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتَنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)) متفق عليه.

وأعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم، والتكرمة الباهرة: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وقد روى مسلم في (صحيحه) والترمذي في (سننه) عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى))، زاد في رواية: ((ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

وهو يتولى الصالحين:

- ✓ **إذا تولّاك اللهُ سبحانه** = فلن يدَعك تسلُكُ هذه الحياةَ بكَبَدِها وبلائها وفِتنِها وحدَك.
- ✓ **سيكون معك**: يسمعُ ويرى، يُعينُك على ما يُحِبُّ، ويصرفُك عمّا لا يَرضى، يملأُ قلبَك رِضا وقناعةً، ويُصرّفُه إلى طاعته
- ✓ **يُعيّشُك حياةً طيّبةً**
- ✓ **ويجعلُ أمرَك كلَّه (سرّاءَه وضرّاءَه) خيرًا لك**
- ✓ **يدفعُ عنك ويُدافع وينصرُك من عدوّك**
- ✓ **ستكونُ خيرا وبركةً وفرَحًا على مَن يُخالطُك**

كُلُ ذلك مشروطٌ بأنْ تتولّاه أنت وتُحبَّه وتعيشَ له وتنصرَه، وتؤثرَ رِضاه على هواك = حينها ستعيشُ هذا المعنى يقينا، ستراه بعينك. وسترى لُطفه بك وتدبيرَه، ستُبصرُ المخارجَ التي يجعلُها لك ورزقَه من حيث لا تحتسب!

هو ذاتُه المعنى الذي أمرَ نبيَّه الكريمَ أن يجهر به ويذكُر شرطَه إذ خوفه قومه بالذين مِن دُون الله: ﴿إنّ وليّيَ اللهُ الذى نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصالحين﴾،

أما عن مثل هذه الأحاديث قال النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» مسلم (٢٨٢٢).

فيُعلّق عليها ابن تيمية: (المؤمن أرجحُ في النعيم واللذة من الكافر في الدنيا قبل الآخرة –وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

وهذا مما يظهر به حسنُ حال المؤمن وترجحه في النعيم واللذة على الكافر في الدنيا قبل الآخرة وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

فأما ما وُعد به المؤمن بعد الموت من كرامة الله فإنه تكون الدنيا بالنسبة إليه سجناً وما للكافر بعد الموت من عذاب الله فإنه تكون الدنيا جنة بالنسبة إلى ذلك.

وذلك: أن الكافر صاحب الإرادة الفاسدة إما عاجز وإما قادر فإن كان عاجزاً تعارضت إرادته وقدرته حتى لا يمكنه الجمع بينهما.

وإن كان قادراً أقبل على الشهوات وأسرف في التذاذه بها ولا يمكنه تركها، ولهذا تجد القوم من الظالمين أعظم الناس فجوراً وفساداً وطلباً لما يروحون به أنفسهم من مسموع ومنظور ومشموم ومأكول ومشروب

ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك هذا فيما ينالونه من اللذة وأما ما يخافونه من الأعداء فهو أعظم الناس خوفاً ولا عيشة لخائف وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم لا يزال في أسف على ما فاته وعلى ما أصابه.

#**وأما المؤمن** فهو مع مقدرته له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه وهو مع عجزه أيضاً له من أنواع الإرادات الصالحة والعلوم النافعة التي يتنعم بها ما لا يمكن وصفه.

#**لذات أهل البر** أعظم من لذات أهل الفجور، وكل هذا محسوس مجرب.

#**وإنما يقع غلط** أكثر الناس أنه قد أحس بظاهرٍ من لذات أهل الفجور وذاقها ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها ولكن أكثر الناس جهال كما لا يسمعون ولا يعقلون.

#**وهذا الجهل** لعدم شهود حقيقة الإيمان ووجود حلاوته وذوق طعمه انضم إليه. أيضاً جهل كثير من المتكلمين في العلم بحقيقة ما في أمر الله من المصلحة والمنفعة وما في خلقه أيضا لعبده المؤمن من المنفعة والمصلحة.

فاجتمع الجهل بما أخبر الله به من خلقه وأمره وما أشهده عباده من حقيقة الإيمان ووجود حلاوته مع ما في النفوس من الظلم= مانعاً للنفوس من عظيم نعمة الله وكرامته ورضوانه موقعاً لها في بأسه وعذابه وسخطه.))

وفي كلامه عن النفس:

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن عقوباتها أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان بل الذنوب أمراض القلوب ودائها ولا دواء لها إلا تركها وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطي مناها حتى تصل إلى مولاها ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فتصير نفس دوائها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم المرض قتل أو كاد وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه كذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيم البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذى بين نعيم الدنيا والآخرة وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا ولا تحسب أن قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم إلا نعيم القلب وهل العذاب إلا عذاب القلب وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فانه يسومه سوء

العذاب فكل من أحب شيئا غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والمتغيص والتنكيد عليه وأنواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار وأما في البرزخ فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجي عوده وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده وألم الحجاب عن الله وألم الحسرة التي تقطع الأكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله إلى أجسادها فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وأنسا بربه واشتياقا إليه وارتياحا بحبه وطمأنينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباء ويقول الآخر أن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الآخر مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها وما ذاقوا أطيب ما فيها ويقول الآخر لو علم الملوك أبناء الملوك ما نحن فيه لخالدونا))

وقال: (فإنه لا نعيم له ولا لذَّة ولا ابتِهاج ولا كمال إلَّا بمعرفة الله ومحبَّته والطُّمأنينة بذِكره، والفرح والابتهاج بقُربه، والشَّوق إلى لقائه، فهذه جنَّته العاجلة، كما أنَّه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلَّا بجواره في دار النَّعيم في الجنَّة الآجلة، فله جنَّتان لا يدخُل الثانيةَ منهما إن لم يدخُل الأُولى، وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: (إنَّ في الدنيا جنَّةً مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة).

اليقين:

﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾

فالعظيم هنا أن الله تعالى لم يحدد لك السبيل الذي تهتدي به فحسب بل أعانك عليه ثم جزاك عنه في الدنيا والآخرة مع أنك إنما تتزكى لنفسك وهو الغني فاللهم ربنا لا نحصي ثناء عليه.

١١- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿إن الله لغني عن العالمين﴾, ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾, ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾, ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

الله سبحانه وتعالى هو الغنيُّ الحميد وله الفضل ومنه النعمة والمِنَّةُ:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»

ومع ذلك فإن الله يُحب المؤمن ويرضى عنه ويفرح بتوبته ويشكر سعيه:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)) رواه البخاري و مسلم.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

١٢- ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

١٣- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

سهّل الله عليك طريق التزكية بالتوبة والعمل الصالح.

من أجمل ما قرأتُ في المواعظ:

((فإذا أراد الله بعبده خيرا: فتح له بابا من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستغاثة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات =ما تكون تلك السيئةُ به سببَ رحمته حتى يقول عدو الله/ الشيطان: يا ليتني تركته ولم أُوقِعه.

وهذا معنى قول بعض السلف:

إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار قالوا كيف؟

قال: يعمل الذنب فلا يزال نصبَ عينيه خائفا منه مُشفقا وجلا باكيا نادما مُستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة))

وقال قبلها:

((ويفعل الحسنة فلا يزال يَمُنُّ بها على ربه، ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ ، وفعلت = فيُورثه ذلك من العُجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً = ابتلاه بأمر يَكسِره به ويذلُّ به عنقه، ويُصغّره به نفسه عنده.

وإن أراد به غير ذلك = خَلّاهُ وعجبه وكبره

وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه؛ فان العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق: ألا يكِلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان: أن يَكِلَك الله تعالى إلى نفسك)) ابن القيم رحمه الله.

١٤- ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

١٥- ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

مجال ولايتك مفتوح (مَن يحول بينك وبينَه؟).

عن رحمةِ الله الواسعة، وحكمته في خلقه وأمره...

أولياءُ الله تعالى ليس لهم ما يتميزون به سوى الإيمان والعمل الصالح

ويوجد أولياء الله في كل طوائف الأمة

ومن عظيم رحمة الله تنوُّعُ شعب الإيمان، فلا يبقى مُسلمٌ ولا مُسلمة إلا ويمكنه أن يكون وليًّا لله تعالى بحسب إمكاناته ومواهبه

كتب عبد الله العُمري العابد إلى مالك يحضّه على الانفراد والعمل؛ فكتب إليه مالك: ((إن الله قسّم الأعمالَ كما قسم الأرزاق، فرُبَّ:

- ✓ -رجل فُتح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم.
- ✓ وآخر فُتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم.
- ✓ -وآخر فُتح له في الجهاد.
- ✓ فنشْرُ العلم من أفضلِ أعمالِ البر، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه دونَ ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر)) سير النبلاء ٨/١١٤

وفي مثل ذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله –: ((الناس يتفاضلون في هذا الباب: فمنهم من يَكونُ العلم أيسرَ عليه من الزهد. ومنهم من يكون الزهدُ أيسرَ عليه، ومنهم من تكونُ العبادةُ أيسرَ عليه منهما. فالمشروعُ لكل إنسانٍ: أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وإذا ازدحمتْ شعبُ الإيمان= قدّمَ ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر، فقد يكونُ على المفضول أقدرَ منه على الفاضل، ويحصلُ له أفضلُ مما يحصل من الفاضل، فالأفضلُ لهذا: أن يطلب ما هو أنفع له، وهو في حقه أفضل، ولا يطلبُ ما هو أفضل مطلقاً، إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يُفوِّته ما هو أفضلُ له وأنفع.

كمن يقرأ القرآن فيتدبره وينتفع بتلاوته، والصلاة تثقلُ عليه، ولا ينتفع منها بعمل.

أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة، فأي عمل كان له أنفعَ ولله أطوعَ أفضلُ في حقه من تكلُّفِ عملٍ لا يأتي به على وجهه، بل على وجهٍ ناقص، يُفوِّتُه ما هو أنفعُ له!))

وقال: ((وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً، كما قيل: كم من صديق في قُباء وكم من زنديق في عباء.

بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويجدون في التجار والصناع والزراع. وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

قال ابن القيم: ((من الناس من يكونُ سيِّدُ عمله وطريقُة الذي يُعدُّ سلوكُه إلى الله طريق العلم والتعليم حتى يصل إلى الله ومن الناسِ من يكونُ سيِّدُ عملِهِ الذكرَ، وقد جعله زادَه لمعادة، ورأسَ ماله لما له، ومن الناس من يكونُ سيِّدُ عمله وطريقُة الصلاة، ومنهم من يكون طريقُه الإحسانُ والنفعُ المتعدي كقضاء الحاجات وتفريج الكرباتُ وأنواعِ الصدقات، ومنهُم الواصلُ إلى الله من كلِّ طريق قد ضرب مع كلِّ فريق بسهم، فأين كانت العبوديةُ وجدتَه هناك، إن كانَ علمٌ وجدتَه مع أهله، أو جهادٌ وجدتَه في صف المجاهدين، أو صلاةٌ وجدتَه في القانتين، أو ذكرٌ وجدتَه في الذاكرين، أو إحسانٌ ونفعٌ وجدتَه في زمرة المحسنين لو قيل له: ما تريدُ من الأعمال؟ لقال: أريدُ أن أُنْفِذُ أوامر ربي حيثُ كانت) طريق الهجرتين صـ١٧٨، ومدارج السالكين ٣/١٧، ١/٨٨.

وهذا الصنفُ الذي ذكره ابنُ القيمّ هم الصديقون وخيرُهُم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أصبح منْكم اليومَ صائماً: قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليومَ جنازةً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليومَ مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: ما اجتمعن في امرئٍ إلاّ دخلَ الجنّةَ» مسلم.

١٦- ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ .

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به، هو شاهد على نفسه، وقرأ: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾.

وقيل: الإنسان شاهد على نفسه وحده.

اعرف صفات نفسك افهم نفسك لتحسن التعامل معها.

فهم الوحي وفهم النفس وسياسة النفس بالوحي واختيار الأحسن لها الأنسب.

ومن ذلك: **أن تعرف ضعفها فلا توردها ما تضعف عن مقاومته.**

ولا تُجادل عن نفسك بغير حق من جميل ما قال ابن تيمية رحمه الله: [وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْجِدَالُ عَنْ الْخَائِنِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُجَادِلَ عَنْ نَفْسِهِ إذَا كَانَتْ خَائِنَةً: لَهَا فِي السِّرِّ أَهْوَاءٌ وَأَفْعَالٌ بَاطِنَةٌ تَخْفَى عَلَى النَّاسِ فَلَا يَجُوزُ الْمُجَادَلَةُ عَنْهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾].

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»؛ فَهُوَ يُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهِ بِالْبَاطِلِ، **وَفِيهِ لَدَدٌ**: أَيْ مَيْلٌ وَاعْوِجَاجٌ عَنْ الْحَقِّ.

وَهَذَا عَلَى نَوْعَيْنِ:

✓ **أَحَدُهُمَا**: أَنْ تَكُونَ مُجَادَلَتُهُ وَذَبُّهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ النَّاسِ.

✓ **والثاني**: فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ؛ بِحَيْثُ يُقِيمُ أَعْذَارَ نَفْسِهِ، وَيَظُنُّهَا مُحِقَّةً، وَقَصْدُهَا حَسَنًا؛ وَهِيَ خَائِنَةٌ ظَالِمَةٌ، لَهَا أَهْوَاءٌ خَفِيَّةٌ قَدْ كَتَمَتْهَا، حَتَّى لَا يَعْرِفَ بِهَا الرَّجُلُ، حَتَّى يَرَى وَيَنْظُرَ قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ: إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ قَالَ أَبُو دَاوُد: (هِيَ حُبُّ الرِّيَاسَةِ).

فَالِاعْتِذَارُ عَنْ النَّفْسِ بِالْبَاطِلِ، وَالْجِدَالُ عَنْهَا: لَا يَجُوزُ؛ بَلْ إنْ أَذْنَبَ سِرًّا . بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ .: اعْتَرَفَ لِرَبِّهِ بِذَنْبِهِ، وَخَضَعَ لَهُ بِقَلْبِهِ، وَسَأَلَهُ مَغْفِرَتَهُ، وَتَابَ إلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ تَوَّابٌ.

وَإِنْ كَانَتْ السَّيِّئَةُ ظَاهِرَةً: تَابَ ظَاهِرًا. وَإِنْ أَظْهَرَ جَمِيلًا وَأَبْطَنَ قَبِيحًا: تَابَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ الْقَبِيحِ.

فَمَنْ أَسَاءَ سِرًّا: أَحْسَنَ سِرًّا، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً: أَحْسَنَ عَلَانِيَةً؛ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.

من المأثور عن علي رضي الله عنه: ((لا يَرجون عبد إلا ربه ولا يخافنّ إلا ذنبه)).

١٧- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ﴾= **التزكية بالعمل الصالح** (الطاعة – العبادة–شعب الإيمان).

١٨- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وعن أَبي ذرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رسولُ الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طليقٍ». رواه مسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

١٩- ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وفي قصر الصلاة في السفر:

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ» رواه مسلم.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ﴾.

٢٠- أدومها وإن قل.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى اللهِ؟ قال: ((أَدْوَمُها وإنْ قَلَّ)).

وقال: «اكْلُفُوا مِن الأعمال ما تُطِيقُون».

عن أَبِي هريرة النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا وقارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بِالْغدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجَةِ» رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: «سدِّدُوا وقَارِبُوا واغْدوا ورُوحُوا، وشَيْء مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْد الْقصْد تَبْلُغُوا».

وعن أَنسٍ قَالَ: دَخلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمسْجِدَ فَإِذَا حبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيتَيْنِ فقالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قالُوا، هَذا حبْلٌ لِزَيْنَب فَإِذَا فَترَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذا فَتَر فَلْيَرْقُدْ» متفقٌ عَلَيهِ.

وعن عائشة رضِي اللَّه عنها أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فإِن أَحدكم إِذَا صلَّى وهُو نَاعسٌ لا يَدْرِي لعلَّهُ يذهَبُ يسْتَغْفِرُ فيَسُبُّ نَفْسَهُ» متفقٌ عليه.

٢١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

حديث: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها))

٢٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» رواه مسلم.



٢٣- ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

٢٤- وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَم، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يقولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ وَالهَرم، وعَذَاب الْقَبْر، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْت خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا ومَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتَجابُ لهَا)) رواهُ مُسْلِمٌ.

الدعاء

٢٥- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله. وأكثر المفسرين على ذلك، وقال بعضهم: لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق.

الورع هو طلب العلم الذي يُعرف به الحلال والحرام ومجاهدة النفس في الاستقامة على ذلك، والزهد هو ترك ما ينفع في الآخرة، وهو فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها.

الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر:

أقول مما أراه خطأً متكرّرا على لسان الوُعّاظ وفي بعض كتب التزكية= تلك المقارنةُ:

المُنَعَّمُ الشاكرُ أفضلُ؛ أم المُبتلى الصابر؟

وسأبيّنُ وجه الغلط الذي أراه في تلك المفاضلة؛ فأقول -كمثال-:

نبيُ الله سليمان عليه السلام= كان ملكا صالحا شاكرا أوّابا، وابتُلي وفُتن فصبر وآبَ إلى الله وأناب، ونبيُّ الله أيوب عليه السلام= ابتُلي كثيرا ومسّه الضرُّ فصبر ورضي ودعا ربه فكشف الله ضُرَّه، ووهبَه نِعما. فشكر.

وكلاهما. قال الله عنه ﴿نعمَ العبدُ إنّه أوّاب﴾.

والحديثُ الجامع لكلِّ ما يُقدِّره اللهُ على عبدِه قولُ النبي محمد ﷺ عن المؤمن: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)).

فما من عبد إلا يُقدِّر اللهُ عليه:

- ✔ سراءَ تستحق الشكر
- ✔ وضراءَ تستحق الصبر.

وتأمل قوله «إن أمره كله له خير» فكل قدر الله للمؤمن خير إن اتقى اللهَ فيه

فالثنائية المشهورة تلك

(مُبتلى صابر) أو (مُنعَّم شاكر)، والمفاضلة بينهما=ليست دقيقة

فأولا:

ليس ثَمَّ مُنعَّمٌ لا يُبتلى بضرّاء، وليس ثَمَّ مبتلى ليس لديه نِعَم تُوجِبُ الشكر عليها، ما من عبدٍ إلا ويمرّ به بلاءُ يتطلب صبراً، ونعمةٌ تتطلبُ شكراً؛ **حتى لو قيل:** الحكم للأغلب.

فأقول: ليست النِّعَم المستحِقة للشكر محصورةً في مجرد الملك والمال والجاه والصحة ونحو ذلك بل يدخل فيها كلُ سرّاء وكل ما يُحبّه العبد ويفرح به ويسعدُ به، وهذا لا يُحصى.

كما أنّ الابتلاء المستحِق للصبر ليس محصورا في: الفقر والمرض والخوف، والسَّجن والظلم، بل يدخل فيه كلُ ضرّاء وكلُ ما يُحزِن العبدَ. وهذا لا يكاد يُحصى

فالابتلاء يكون بالخير والشرّ كما قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنةً﴾.

ثانيا:

أن كلَّ أمر منهما = (البلاء، والنعمة) له عبادتُه الخاصة؛ فالمفاضلةُ بينهما ليست دقيقة إذا الاختلاف بينهما اختلافُ تنوّع؛ **حتى لو قيل:** إن المفاضلة بين الشكرِ على النعمة، والصبرِ على البلاء = فليس ذلك دقيقا.

فالمبتلى الذي صبر = اتّقى اللهَ بما يستطيع، والمنعّم الذي شكر= اتقى الله بما يستطيع= فكلاهما محسن.

وإنما تصح المقارنة بين: اثنين كلاهما أُنعم عليه نفسَ النعمة، أو اثنين كلاهما ابتلي نفس البلاء.

وأكرم الناس عند الله= أتقاهم.

فلذلك أرى أن تلك المفاضلة خطأ من كل وجه، وأنّ الصحيح المُحكَم الجامِع في هذا الباب:

ذلك الحديث الشريف: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

الشخص اللي عايش للدنيا ومُتعه وشهواته، ومبيفكرش في أي شيء يخص آخرته، فلمّا تيجي تنصحه يقول لك: دا ربنا بيقول: لا تنس نصيبك من الدنيا!، طب وهو أنت ناسي نصيبك من الدنيا، دا الكلام دا يُقال لشخص عارف حقارة الدنيا فعايش في العبادة والزهد ومُنكب على أمر دينه، فهنا نُذكّره: لا مش للدرجة دي.. برضو إن لنفسك عليك حقا، متنساش نصيبك من الدنيا؛ إنما أنت نقولك: كفاياك دُنيا، لأنك خلّصت كل نصيبك منها ونصيب غيرك، متنساش نصيبك من الآخرة.



زي الشخص اللي مقضّيها لعب وتضييع وقت ومشاهدة أفلام ومتشات ونت وغيره ومضيع شغلُه وبيته وصحته وأولاده فلمّا تيجي تنصحه يفوق لنفسه ويركز في مصلحته ويسيبه من النت والأفلام والحاجات دي فيقول لك: إيه يا عم عايزني أتخنق.. بفُك عن نفسي شويه...!

تفُك عن نفسك ايه؟! أنت أساسا مفكوك على الآخر مفِكش حاجة مربوطة خالص الكلام دا يقولو شخص منهمك فيما ينفعه، مهتم بدينه وصحته وشغله وبيته وأولاده. إنما أنت ضايع ومحتاج شلّوت أو جوزين أقلام على وشِك يفوقوك. أهو دا بقا يشبه شخص تاني عايش بقالو ٣٠ سنة بيطحن في أي أكل. مليان أمراض.. وبلاوي سودا ووزنُه زايد خمسين كيلو، ومش قادر ياخُد نَفسُه ومش قادر يطلع السّلم، ولا يقدر يمشي كيلو واحد

فلمّا تيجي تنصحُه: خد بالك من أكلك، حافظ على صحتك، بلاش سكر، بلاش زيوت.... خفّ من الفواكه....إلخ

يقول لك: ايه يا عم. أنت بتحرّم الحاجة اللي خلقها ربنا. عايزني أموت.

دول نموذجين في كل المجالات

ببساطة: إذا بلغ الماء قُلتين لا يحمل الخبث

يعني: لما يكون الغالب على حياتك إنك ماشي صح؛ ساعتها ممكن تهجّس شوية (بس في حدود المتاح برضو

إنما لما تكون مقضّيها وخاربها طول الوقت. يبقى لازم تفهم إنك ضايع.

أنت عايز تغيير جذري، وعايز يتعملّك عَمرة جوّا وبرّا، ويتغيّر لك زيت، وتتشحّم، وإلا فأنت الظا لمُ والمظلوم ومحدّش هينفعك..

٢٦- ((إن لنفسك عليك حقا)).

٢٧- صحبة الخير ((واصبر نفسك...)).

قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ [يعطيك] وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً». رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

قال النووي رحمه الله: (فِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ " (شرح النووي على مسلم) (١٦/ ١٧٨).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» رواه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجة (٤٠٣٢)، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي).

فهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالطتهم لأجل ذلك، وإسداء النصح لهم، لا لمجرد المجالسة والمؤانسة.

فمن خالط الناس، ودعاهم إلى الله، ووعظهم، ونصحهم، وذكرهم، وصبر على أذاهم في سبيل ذلك؛ فهو خير ممن لا يخالطهم ولا يدعوهم، ولا يصبر على أذى يلقاه منهم في سبيل ذلك.

قال الصنعاني في "سبل السلام": ("فِيهِ أَفْضَلِيَّةُ مَنْ يُخَالِطُ النَّاسَ مُخَالَطَةً يَأْمُرُهُمْ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَيُحْسِنُ مُعَامَلَتَهُمْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ الَّذِي يَعْتَزِلُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْمُخَالَطَةِ، وَالْأَحْوَالُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَزْمَانِ" انتهى.

فظهر أنه ليس بين الحديثين تعارض، على فرض صحة الحديث الأول.

فإذا قدر أن الإنسان بين خيارين: إما الانفراد، وإما مجالسة أهل السوء؛ فلا شك أن الانفراد أفضل، وهو ما يدل عليه الحديث الأول.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (وَرُبَّ صَرْمٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ). انتهى من "التمهيد" (١٢٧/٦).

وأما إذا دار الأمر بين مخالطة الناس ونفعهم والاستفادة منهم مع احتمال أذاهم، وبين عدم مخالطتهم، ولا نفعهم، ولا الاستفادة منهم، ولا الصبر على أذاهم؛ **فمخالطتهم على هذا الوجه أفضل، ولا شك.**

ثانيا: أما نفس المفاضلة بين العزلة والخلطة، من حيث الأصل، فلا يطلق فيه قول عام لكل أحد؛ بل ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، والأزمان، والبلاد.

فإذا كان الشخص عالما يخالط الناس، ويعلمهم وينصحهم ويصبر على أذاهم:

- ✓ فالمخالطة في حقه أفضل ممن ليس كذلك.

وإذا كان الشخص لا علم عنده، ولا يصبر على أذى الناس له:

- ✓ فالعزلة أفضل له.

وقد يكون في بعض البلاد أو الأزمان: الخلطة أفضل، إذا كان الغالب على الناس الخير وحسن الخلق.

وقد يكون في بلاد أخرى ينتشر الفساد بين الناس، وسوء الخلق، فتكون العزلة أفضل لمن لا يقدر على إنكار المنكر وتغييره ... وهكذا.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أيما أفضل للسالك العزلة أم الخلطة؟ وإذا قدر أحدهما، فهل يكون ذلك على الإطلاق أم وقتا دون وقت؟ فأجاب: (هَذِهِ "الْمَسْأَلَةُ " وَإِنْ كَانَ النَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا؟ إمَّا نِزَاعًا كُلِّيًّا، وَإِمَّا حَالِيًّا؛ فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ " الْخُلْطَةَ " تَارَةً تَكُونُ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً، وَالشَّخْصُ الْوَاحِدُ قَدْ يَكُونُ مَأْمُورًا بِالْمُخَالَطَةِ تَارَةً

وَبِالِانْفِرَادِ تَارَةً، **وَجِمَاعُ ذَلِكَ**: أَنَّ " الْمُخَالَطَةَ " إنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَهِيَ مَأْمُورٌ بِهَا. وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَهِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا، **فَالِاخْتِلَاطُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي جِنْسِ الْعِبَادَاتِ**: كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَصَلَاةِ الْكُسُوفِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ: هُوَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، **وَكَذَلِكَ** الِاخْتِلَاطُ بِهِمْ فِي الْحَجِّ وَفِي غَزْوِ الْكُفَّارِ وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ، وَإِنْ كَانَ أَئِمَّةُ ذَلِكَ فُجَّارًا، وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ فُجَّارٌ، وَكَذَلِكَ الِاجْتِمَاعُ الَّذِي يَزْدَادُ الْعَبْدُ بِهِ إيمَانًا: إمَّا لِانْتِفَاعِهِ بِهِ، وَإِمَّا لِنَفْعِهِ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ، فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ فَهَذِهِ، يَحْتَاجُ فِيهَا إلَى انْفِرَادِهِ بِنَفْسِهِ؛ إمَّا فِي بَيْتِهِ، كَمَا قَالَ طاوس: نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ، يَكُفُّ فِيهَا بَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، وَإِمَّا فِي غَيْرِ بَيْتِهِ، **فَاخْتِيَارُ الْمُخَالَطَةِ مُطْلَقًا خَطَأٌ**، وَاخْتِيَارُ الِانْفِرَادِ مُطْلَقًا خَطَأٌ. وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ كُلُّ إنْسَانٍ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَمَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ: فَهَذَا يَحْتَاجُ إلَى نَظَرٍ خَاصٍّ كَمَا تَقَدَّمَ" انتهى من " مجموع الفتاوى " (١٠/٤٢٥).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (العزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر؛ فالاختلاط بالناس أفضل). انتهى من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٧٢).

وقال أيضا: (**من كان يخشى على دينه** بالاختلاط بالناس: فالأفضل له العزلة، **ومن لا يخشى**: فالأفضل أن يخالط الناس، لقول النبي ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم».

فمثلا: إذا فسد الزمان ورأيت أن اختلاطك مع الناس لا يزيدك إلا شرا وبعدا من الله، فعليك بالوحدة، اعتزل. فالمسألة تختلف، العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خير من الخلطة، أما إذا لم يكن الأمر كذلك، فاختلط مع الناس، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على آذاهم وعاشرهم " انتهى من "شرح رياض الصالحين" (٥/ ٣٥٤).

-يُدركُ الإنسانُ بالمخالطة مع إخوانه ما لا يُدركه مع نفسه (بمفرده)

-ويدرِكُ مع نفسه ما لا يدركه مع إخوانه

فالعاقل من يُحسنُ معرفة ذلك من نفسه فيسُوقها لما يناسبها من حيث الاختلاط والانفراد.

#لكني متيقن أن أعظم ما يتقوى ويتصبّر به الإنسان= إخوانُه الثقات.

قُدرتُك على ألّا تسبح مع التيّار الخطأ الذي يسبح فيه غيرُك= فهذه قوّة

لكنّ القوي حقّا: مَن يكون هو التيّارَ! ، نعم، يكونُ هو التيّارَ فيأخذُ مَن حوله إلى ما يراه حقا.

يحرصُ عليهم، ويُوجِّههم، ويُمهّد لهم، ويرفع هِمّتهم، ويُعينهم، ويصبر عليهم.

فما يلبثُ مَن أعانهم = أن يكونوا هم عونًا له وسندًا ليُكملوا الطريق معًا.

نموذج: ابن تيمية

فلما دخل سجون مصر وجد السُجناء في ضياع وقت ولعب ولهو، فجدّ معهم حتى حوّلهم إلى أهل استقامةٍ وطلب علمٍ وتتلمذوا عليه، وكثير منهم يرفض الخروج من السجن ويرغب البقاء فيه مع ابن تيمية لِما وجد من العلم والعمل والخير الواسع.

بل إنَّ بعضهم كان يخرج ثم يعود إلى السجن يطلب أن يبقى فيه لأنه فقد الفوائد التي لم يجدها إلا عنده...

فصار البُعدُ عنه حبسًا ووحشة، والبقاءُ في سجنه حُريّةً وأُنسًا!

#كُن_تيّار_خيرٍ

ولا تكتفِ بأن تسبح وحدك ضد التيار الخطأ.

ومن أخص انحرافات من يطلب زكاة نفسه تضييع شريعة الأمر بالعروف والنهي عن المنكر، والانشغال بإصلاح نفسه، وهذا من الجهل فإن من إصلاح النفس الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن التحريف للنصوص: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ و ﴿ليس عليك هداهم﴾ و﴿لا تُكلَف إلا نفسك﴾ ونحوها.

قال أبو جعفر: [يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فأصلحوها، واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره، وانظروا لها فيما يقرّبها من ربها، فإنه " لا يضركم من ضَلّ"، يقول: لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله....

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم معناه: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾، إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم.))

وبعدما ذكر الخلاف فيها قال: قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية، ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ فيها وهو: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ ، الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه =" لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " ، يقول: فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، (٤٥) وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط، ويتعاونوا على البر والتقوى. ومن القيام بالقسط، الأخذ على يد الظالم. ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو كان

للناس تركُ ذلك، لم يكن للأمر به معنًى، إلا في الحال التي رخَّص فيه رسول الله ﷺ تركَ ذلك، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة، فيكون مرخصًا له تركه، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه.

وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فبيِّنٌ أنه قد دخل في معنى قوله: " إذا اهتديتم ‘‘، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك: «إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر»، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ.))

وفي تفسير أبي السعود: ((ولا يُتوهمنّ أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء: أن ينكر حسبما تفي به الطاقة))

كل آية لها سياق: فأنت لا تُكلف إلا نفسك، ومما كلفت به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة

ولكن لا تملك الهداية ولا يضرك من ضل، ولا تزر وازرة وزرَ أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى

كما فعل جميع الأنبياء ﴿أنلزمكموها﴾ ﴿ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا﴾ ﴿فكيف آسى﴾ وهذا أصل معروف

قلت: وأعظم تفسير لها: هو نفس حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حطمه الناس (كان يسعى في مصالحهم وشئونهم) وصحابته وآيات الجهاد والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها مما يُرفع به العبد عند الله ومن أعظم ما يصبر عليه المسلم تلك الشعائر

بل في الحديث: من مات ولم يجاهد ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على شعبة من نفاق

ونبّه ابن القيم رحمه الله إلى أن الله سبحانه أوجب على كل مسلم عبودية بحسب مرتبته سوى العبودية العامة التي سوّى بين عباده فيها فعلى العالِم من عبوديته نشر السنة والعلم ما ليس على الجاهل وعليه من عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما ، ولكن إبليس غرّ كثيرا من الخلق بان حسّن لهم الانقطاع للذكر والقراءة والزهد في الدنيا فعطّلوا هذه العبوديات ولم يُحدّثوا قلوبهم بالقيام بها فقصّروا في القيام بأمر الله) انظر: (زاد المعاد) (٣/١٠).

وقال: (وأيُّ دينٍ، وأيُّ خيرٍ؛ في مَن يَرى مَحارمَ الله تُنتهَك، وحدودَه تُضاع، ودينَه يُترك، وسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغب عنها! وهو باردُ القلب، ساكتُ اللسان، شيطانٌ أخرس؟! كما أن المتكلم بالباطل؛ شيطانٌ ناطق، وهل بَلِيَّةُ الدِّين إلا مِن هؤلاء الذين إذا سَلِمَت لهم مآكلُهم ورياساتُهم؟! فلا مبالاة بما جَرى على الدِّين، وخيارُهم المتحزِّن المتلمِّظ، ولو نُوزِع في بعضِ ما فيه غَضاضةٌ عليه في جاهِه أو مالِه بذَل وتبذَّل، وجدَّ واجتهَد، واستعملَ مراتبَ الإنكار الثلاثة، بحَسب وسْعه! وهؤلاء مع سُقوطهم مِن عَين الله، ومَقت الله لهم، قد بُلوا في الدنيا بأعظم بَليَّة تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب...! فإن القلبَ كلَّما كانت حياتُه أتمّ كان غضبُه لله ورسوله أقوى، وانتصارُه للدين أكمَل".

((إعلام الموقعين ٢/١٥٧–١٥٨)).

وقال عمن يضيع حدود الله بعزلته: (وَمِنَ الْعَجَبِ دَعْوَاهُمْ خُرُوجَهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ. وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ عِبَادَةً لِنُفُوسِهِمْ. وَلَيْسَ الْخَارِجُ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ جَعَلَهَا حَبْسًا عَلَى مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ الْأَمْرِيِّ النَّبَوِيِّ. وَبَذَلَهَا لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ. وَتَنْفِيذِهِ

بَيْنَ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْمُعَارَضَةِ وَالْبَغْيِ. فَانْغَمَسَ فِيهِمْ يُمَزِّقُونَ أَدِيمَهُ، وَيَرْمُونَهُ بِالْعَظَائِمِ. وَيُخِيفُونَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَخَاوِفِ، وَيَتَطَلَّبُونَ دَمَهُ بِجُهْدِهِمْ، لَا تَأْخُذُهُ فِي جِهَادِهِمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. يَصْدَعُ بِالْحَقِّ عِنْدَ مَنْ يَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ، قَدْ زَهِدَ فِي مَدْحِهِمْ وَثَنَائِهِمْ. وَتَعْظِيمِهِمْ وَتَشْيِيخِهِمْ لَهُ، وَتَقْبِيلِ يَدِهِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ. يَصِيحُ فِيهِمْ بِالنَّصَائِحِ جِهَارًا. وَيُعْلِنُ لَهُمْ بِهَا. وَيُسِرُّ لَهُمْ إِسْرَارًا. قَدْ تَجَرَّدَ عَنِ الْأَوْضَاعِ وَالْقُيُودِ وَالرُّسُومِ. وَتَعَلَّقَ بِمَرَاضِي الْحَيِّ الْقَيُّومِ. مَقَامُهُ سَاعَةٌ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ. وَرِبَاطُهُ لَيْلَةٌ عَلَى ثَغْرِ الْإِيمَانِ، آثَرُ عِنْدَهُ وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَنَاءٍ وَمُشَاهَدَاتٍ وَأَحْوَالٍ هِيَ أَعْظَمُ عَيْشِ النَّفْسِ وَأَعْلَى قُوَّتِهَا، وَأَوْفَرُ حَظِّهَا. وَيَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَكَيْفَ حَظُّهَا؟ وَلَعَلَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ مُرَادِ رَبِّهِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ إِلَى عَيْنِ مُرَادِهِ. وَهُوَ حَظُّهُ. وَلَوْ فَتَّشَ نَفْسَهُ لَرَأَى ذَلِكَ فِيهَا عِيَانًا.))

ومن أعظم ما قد يخطر ببال المنعزل هو أنه نقاوة الناس لا يستحقون أن يخالطهم ونحو ذلك:

وفي ذلك قال ابن القيم: (ومن كيد الشيطان وخداعه أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد أو رباط أو زاوية أو تربه، ويحبسه هناك وينهاه عن الخروج، ويقول له متي خرجت تبذلت للناس وسقطت من أعينهم وذهبت هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكرا، وللعدو في ذلك مقاصد خفيه يريدها منه، منها الكبر واحتقار الناس فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلي الله.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وقال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾.

وأما الحديث المشهور: «رجعنا من الجهاد الأصغر للجهاد الأكبر» لا يصح عن رسول الله، ومع ذلك فلا يؤخذ من تفضيل العزلة بإطلاق بل معناه الاهتمام بتزكية النفس ومجاهدتها في العمل الصالح بل سياق ما قد يُفهم منه العُزلة إما عند الحاجة أو لضعف العبد عن القيام بواجب الإصلاح والخوف على نفسه

أما ما جاء في البخاري باب: العزلة راحة من خلاط السوء، فروى بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: (رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب: يعبد ربه، ويدع الناس من شره).

حديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)).

ومنه: حديث في السنن ومسند أحمد عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو – رضي الله عنهما – قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرُوا الْفِتْنَةَ أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَقَالَ : » إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جعلني اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ : الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ

لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ ». رواه أحمد (٢/٢١٢)، وأبو داود (٢/٤٣٨) برقم (٣٧٨٠)، وابن ماجة (٢/٤٦٧).

وذُكر عن عبد الله بن المبارك: ((قال بعضهم في تفسيرِ العزلة: هو أن يكونَ مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فَخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت))

فهذا متسق مع باقي نصوص الشريعة يكمل بعضها بعضا فتُفهم مع مع جاء في بابها فهذا إما عند استحكام الشر والفساد وانتشار ذلك بحيث تصبح البيئة فاسدة يُخشى على المسلم أو عند ضعف المسلم علما أو عملا من الدعوة إلى الله فحينها عليه بنفسه فعملُه الصالح: أن يجتهد في طاعة الله ويدع الناس من شره كما في الحديث، وفي حديث قاتل المائة نفس: اترك أرضك فإنها أرض سوء. ثم أرشده لمكان آخر فيه من يعينه على دينه

ومن ذلك: قوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

#الاستضعاف الذي يمنع الإيمان والعمل الصالح أو يُصعِّبه، ويعطِّل الترقِّي في منازل الإيمان: لا ينحصر في أن يكون العبدُ مُكرَهًا على المعصية أو الفاحشة أو الشرك أو نحو ذلك، أو ممنوعا من العمل الصالح إكراها بل يدخلُ فيه: أن يكونَ غيرَ مُكرَهٍ، لكنه مُحاط: بفتن وفواحش، وفُسَّاق وكفار، وجهر بالفواحش والمنكرات، أو زملاء سوء، يَضعُف عن مقاومة دعوتهم له للمنكرات فهو مستضعَف. ضعيف أمامها يصعبُ أن ينصرف عنها، ويسهل عليها الوقوع فيها.

#فمثلُ ذلك = يجب عليه أن يجاهد نفسه ليكون في مكان يُعينه على أن يكون أتقى وأبعد عما لا يرضي الله، وأقوى على طاعته.

ولو سيفقد من متاع الدنيا الكثير، فكلُ مصيبةٍ سوى مصيبة الدين=هَيّنةٌ

وإنما يحيَ العبدُ هي حياةٌ واحدة.

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ والله تعالى يتولّى الصالحين، وربُك الأكرم.

لا يمكن أن يرى انشغالك وإرادتَك وسعيَك وجهدك وتضحيتك في سبيله =إلا ويُجازيك إحسانا.

فخيرُ الأماكن لكل عبد=ما يكون فيها أقرب إلى الله وأبعد عن معصيته.

وهذا ليس له حكم واحد، بحيث يكون البلد الفلاني أو المكان الفلاني هو أفضل مكان لكل مسلم، بل يختلف من شخص لآخر.

ويكفي أن يراك الله حريصا على القرب مما يُرضيه، والبعد عما لا يرضيه ﴿ويزيد اللهُ الذين اهتدوا هُدى﴾، وأنت أبصرُ بحالك، فلِكُلِّ مَن قصَد مكانا ابتغاء أن يكون هو وأهلُه وأولادُه أقربَ إلى الله، وآثَرَ ذلك وجعلَه ميزانَه وبُوصلتَه، ثُمّ تأخّرَ عليه الفرج والمخرَجُ، وضاق حالُه وفقَد بعض ما كان فيه من راحة وترَفٍ، أقولُ له: أبشِر، نفسُ قصدك طريقَ الله، وما يُقربُك وأهلَك منه، هو –والله –أعظمُ الفرج، وأحسنُ المخرَج من الله.

ف: (لابد للعبد من أوقات يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ فَهَذِهِ يَحْتَاجُ فِيهَا إلَى انْفِرَادِهِ بِنَفْسِهِ؛ إمَّا فِي بَيْتِهِ، كَمَا قَالَ طاوس: نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ يَكُفُّ فِيهَا بَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، وَإِمَّا فِي غَيْرِ بَيْتِهِ. فَاخْتِيَارُ الْمُخَالَطَةِ مُطْلَقًا خَطَأٌ وَاخْتِيَارُ الِانْفِرَادِ مُطْلَقًا خَطَأٌ. وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ كُلُّ إنْسَانٍ مِنْ هَذَا وَهَذَا وَمَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ فَهَذَا يَحْتَاجُ إلَى نَظَرٍ خاصٍ كَمَا تَقَدَّمَ) (مجموع الفتاوى، لابن تيمية).

وفي كتابه((العزلة)) حدد قصده الخطابي رحمه الله: (ولسنا نريد –رحمك الله –بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام ورد التحيات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، وصنائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم، فإنها مستثناة بشرائطها، جارية على سبيلها، ما لم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها) العزلة للخطابي: ص١٢،١١.

وقال ابن الجوزي: ((كم فوّتتْ العزلةُ علما يصلح به أصلُ الدين، وكم أوقعتْ في بلية هلك بها الدين، وإنما عزلةُ العالم عن الشر فحسب)) صيد الخاطر ص١٢٨.

والإنسان لابد له من نوع مخالطة للناس:

ولذلك فإنَّ مخالطة الناس والقيام بشؤونهم، والصبر عليهم، ولو حصل منهم على الشخص نوع من الأذى الذي يلحقه، فإنَّ ذلك خير مِمَّن اعتزلهم كليّة خشية أذاهم، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (حوسب رجل ممن كان قبلكم. فلم يوجد له من الخير شيء. إلا أنه كان يخالط الناس. وكان موسرا. فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه. تجاوزوا عنه)

فترك فضول مخالطة الناس الزائدة عن حدها من سبل إصلاح القلب، وارتقاء الروح، وغذاء العقل، وتزكية النفس.

ومما جاء في ذلك: الاعتكاف في أواخر رمضان، للمسلمين الصائمين

ويعجبني هذا التفقد والإصلاح من الإمام ابن المبارك رحمه الله ((عوتب ابن المبارك –وكان ثريا غنيا–فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس

إليهم، احتاجوا؛ فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)) "سير أعلام النبلاء" للذهبي ٨/٣٨٧.

من قول النبي ﷺ، وسلمانَ رضي الله عنه:

٢٨- ((إن لنفسك عليك حقًّا)) ثم بيان المعنى التام لها ...

لأنها وردتْ في سياق التخفيف على النفس لمن يشُّق عليها في العبادات، وينسى حظَّها من الراحة والمتعة= ظنَّ كثيرٌ من الناس أن المراد منها: خفِّف على نفسك وأعطها حظها من الراحة والمتعة ولا تشق عليها. واقتصدْ في العبادة وهذا الفَهم بشكل عام مقبول، لكنه يحتاج تفصيلا أكثر لبيان معنى حق النفس، وكيف تعطيها حقّها، ثم هذا الفهمُ هو جزئي وليس هو المراد أصالةً بهذا القول.

بل المراد: إن لنفسك عليك حقا = أن تسير بها وتختار لها من العمل ما خُلِقتْ له على وفق ما شرعه لها خالِقها فإن خالقها خلقها لحكمة

والله تعالى أعلم من خلق وهو اللطيف الخبير شرع لها من الأحكام ما يُحقق الخير لها ويناسب ضعفها وحاجاتها ويُهذبها ويُزكيها ولا يُكلّفها إلا وُسعَها

وأمرنا أن ندخل في السِّلم كافة ولا نتبع خطوات الشيطان

واتباع خطوات الشيطان: أن تنسى حظًّا مما ذُكِّرتَ به =فتترك بعض الوحي

وليس هوى النفس مذموما على كل حال. ليس كل ما تطلبه النفس يجب مخالفته

وإنما يجب أن تسير بنفسك على هدى من الله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾.

والهدى = الوحي

فأعظم ظلم للنفس: أن تعيش لغير ما خُلقت له (كمن لا يؤمن بحكمة خلقه وينكر خالقه وينكر أن يكون لوجوده غاية وينكر يوم الجزاء) وهؤلاء هم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسَم فهم يعيشون كالأنعام. وأضلّ سبيلا

و(كمن اتخذ إلها غير من خلقه)

وقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ كيف تعبدون غير بارئكم؟

ومن ظلم النفس: ألّا تهتم بمعرفة صفاتها وحاجاتها وقد بيّنها الله تعالى، أو تتّبع هواها بغير هداية من الله أو تجهل حاجاتها، أو تحرمْها حاجتَها كالرهبانية المبتدعة (وقد جعل الله تعالى لكل حاجات النفس طرقًا مشروعة

لذلك فالمعصية ما هي إلا اتّباع هوى النفس بغير هدى من الله، ولما بيّن الله سبحانه بعض أحكامه قال ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾.

فهذا الدينُ قيّمٌ كامل شامل قائم على شرْع ما تزكو به النفسُ وتهذَّبُ، وكل من جهله أو تعمّد مخالفتَه فقد ظلمَ نفسَه (أي وضعها في غير موضعها)

لذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشتد غضبُه على صنفين:

- ✓ من يتعدّى حدود الله وينتهك حرماته.
- ✓ ومن يعبد الله بغير هدى من الله فيظنّ العبادة تعذيب ومشقة وإهلاك للنفس وتحريم للطيبات وحرمان من مُتعة النفس: كحديث الثلاثة نفر

- أن تعرف: مَن خلقك، ولماذا خُلقتَ، وكيف تهتدي؟
- وأن تعرف صفات نفسك وما فيها من بِرّ وفجور وخير وشر وضعفٍ وقوة
- وأن تعرف حاجاتها ومتطلباتها
- وأن تعرف الطُرق المشروعة لتحقيق تلك الحاجات.

ثم الإرادة والعزم في سياسة النفس والمواظبة على حملها على ما يجمع بين حاجاتها وما خُلِقتْ له/ عبادة الله، ويعرف ماذا عليه من حقوق وواجبات، وتختار لها من العمل الصالح المستحب ما يناسبها.

#فإذا ضعفتْ نفسُك فلا تخلد بها إلى الضعف بل تقوم وتنفض عنك غبار التقصير ثم تستأنف السعي. تلك هي العبادة. السعي على هدى من الله

#من وعى ذلك سيُدرك كيف نهى النبي ﷺ عن كل صورةِ عبادةٍ مبتدعة في تعذيب النفس مع أنه ﷺ قامَ حتى تفطّرتْ قدماه، وكان يصوم حتى يُقال: لا يُفطر، وكيف نهى بعضَ من صام في السفر، وصام هو في السفر ويعرف كيف كان الصحابة يتبادحون/يَترامَون بقشر البطيخ فإذا كانت الحقائقُ/ المِلمّات كانوا رجالَها إلى غير ذلك مما يُظَنُّ مختلفا متعارضًا وهو مُتّسقٌ متفق يكمّل بعضُه بعضا.

ومن وعى ذلك كله وعمِل به =فهو الذي دخل في السِّلم كافة، ولم يتبع خطوات الشيطان، وعمل بقول الله تعالى ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ حتى وإن حصل منه تقصير أو ضعف أو ذلّةٌ =فصفةُ الإيمان والتقوى باقية له ما دام على الطريق

ومن ترك ذلك كلّه فـ﴿قد خاب من دسّاها﴾.

ومن أخذ بعضا وترك بعضا فهو ممن قال الله فيهم ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

فأبصِر طريقك وخذْ الأمر على الجِد واصبر واسع وجاهد وربُّك معك ولن يُضيّعك

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

فتلك هي النفس التي يناديها ربُّها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.